

الفصل الأول

بلد المتناقضات



ماليزيا .. تلك المملكة الآسيوية الساحرة التي جمعت حضارات أكبر قارات الدنيا ووضعتها في إناء واحد تجد فيه عبق زهورها وتوابلها وألوانها وأشكالها وألسنيتها وثقافتها؛

لم يمتزج أحدها بالآخر بل احتفظ كل منها بطبيعته، فتجد ناطحات السحاب التي تطل على الغابات الاستوائية الكثيفة، وبدخل الغابات يعيش سكان الأكواخ البدائيون .

ستجد السلاطين في قصورهم يستعدون لانتخابات اختيار الملك الجديد، وأتباع التصوف الغزالي يسرون في ركب السلفيين .

وتأكل الآيس كريم بالفلفل الحار، وتنزل إلى المياه على ظهر الأفيال، وترى أحدث المطارات ومصانع السيارات، وتذوق فواكه لا شبيه لها ولا نظير في بلاد العرب، لا تستطيع أن تصفها بدقة لأصدقائك، وحيوانات ليس أغربها القرد «أبوزلومة» أو الأسد الأبيض.

فإن فاتتك زيارة الهند والصين وبلاد العرب، واليابان، فيكفيك أن تزور ماليزيا، سترى فيها منطقة كل ما فيها صيني، وأخرى قطعة من الهند، وثالثة يحظر فيها الكلام إلا بلغة القرآن، ورابعة تحوي علم وتكنولوجيا اليابان.

وطن الملايو

تتكون ماليزيا من جزأين: الجزء الغربي عبارة عن شبه جزيرة «الملايو» ومعظم سكانه الأصليين من جنس «الملايو» وهو الجزء الأكبر، أما الشرقي فيتكون من ولايتين فقط هما صباح وسراواك، وتعيش فيه قبائل وأجناس مختلفة.

ويتكون المجتمع الماليزي من ٣ طوائف رئيسية هي: الملايو وكلهم مسلمون، والصينيين والهنود وهم خليط من المسيحيين والوثنيين، ونسبة المسلمين فيهم قليلة جداً، فالانتماء العرقي يعبر عن الانتماء الديني تقريباً، وقد تجاوز تعداد السكان حاجز الـ «٣٠» مليون نسمة في فبراير ٢٠١٥.

وأغلب المواطنين من عرق «الملايو» ذوي العيون الآسيوية المميزة، الذين يشبهون العرب في لون البشرة، بينما يمتاز الصينيون بالبياض، والهنود بالسواد الشديد.

ونسبة السكان الأصليين من الملايو وغيرهم ٦٢٪، بينما تبلغ نسبة الصينيين ٢٢٪، والهنود ٧،٦٪.

العاصمتان

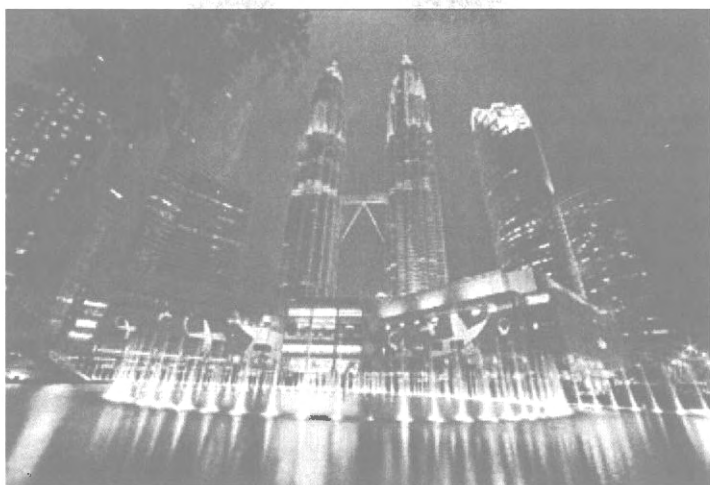
كوالالامبور هي العاصمة التاريخية لماليزيا، واسمها معناه «الأرض الخصبة» بسبب وقوعها في ملتقى نهرين، إلا أنه لما ضاقت بأهلها والوافدين إليها، قررت الحكومة بناء عاصمة جديدة قريبة منها اسمها «بوتراجايا» نقلت إليها المصالح الحكومية الكبيرة كالوزارات وغيرها وشيدت مساكن للموظفين فيها كي لا يضطروا للسكن خارج العاصمة.

وجاءت العاصمة الجديدة بديعة المنظر شديدة النظام تشيع فيها الخضرة، تطل على بحيرة أنيقة زادت المشهد جمالا إلى جماله، يستطيع الزائر الغريب أن يتجول فيها بسيارته بدون أن يسأل أحداً عن مقصده، بسبب اللوحات الإرشادية المنتشرة في كل مكان، وهي من أماكن الجذب السياحي وتنظم فيها كثير من المؤتمرات العالمية والمهرجانات السياحية.



أحد شوارع بوتراجايا

وكوالالامبور هي أكبر مدن ماليزيا حتى بعد بناء بوتراجايا، وقد بنى كوالالامبور نخبة من أفضل مهندسي العالم، وهى تعج بناطحات السحاب الشاهقة، وقلما تجد ناطحة سحاب تشبه الأخرى، لاسيما التحفة المعمارية «برجي بتروناس التوأم» في قلب المدينة City centre، حيث يقف البرجان شاهخين أمام بحيرة صناعية صغيرة، تتلألأ ليلاً بأنوار راقصة، تتمايل على إيقاع الموسيقى، وتجد مئات السياح على مدار اليوم على ضفاف البحيرة يلتقطون الصور الجماعية وال«سيلفي» مع خلفية البرجين أو البحيرة، وداخل مبنى البرجين مولات تجارية ومكاتب شركات ومساجد ومطاعم ومحلات.



بحيرة البرجين

وقريب من موقع البرجين توجد منارة كوالالامبور وهي تشبه برج القاهرة إلا أنها أفخم وأعلى منه فطولها ٤٢٠ متر أى أكثر من ضعف طول برج القاهرة، والمنارة مقصد سياحي وبها مطعم كبير، ويزورها السياح ليشاهدوا العاصمة من السماء في صورة بانورامية ممتعة.



منارة كوالالامبور على اليمين والبرجين التوأم على اليسار

والشوارع ليس بها عساكر مرور بل يلتزم السائقون بإشارات المرور من أنفسهم، والمشاة لا يعبرون إلا من الأماكن المخصصة لعبورهم، أما مترو كوالالامبور فهو مصمم بحيث تدخله وتخرج منه بدون أن تحتاج للتعامل مع البشر، فقطع التذكرة عن طريق شاشة تعمل باللمس «touch» تشير بإصبعك للمحطة التي تنوي الذهاب إليها فيكتب لك قيمة التذكرة، لأن كل محطة لها قيمة تذكرة مختلفة، فتدخل النقود الورقية من فتحة والمعدنية من فتحة أخرى، والجهاز يعطيك التذكرة مع باقي نقودك لو كنت دفعت أكثر من ثمنها

المكتوب على الشاشة، ومتوسط التذكرة حوالي ٢ رنجت، فالعملة هنا هي الـ«رنجت» ويرمز له برمز «RM»، والدولار يعادل تقريباً ٤ رنجت، والمترو يسير بلا سائق، فأول سيارة في المترو ذات واجهة زجاجية وليس أمامها قاطرة تجربها، وكلما اقترب المترو من إحدى المحطات نبه الجهاز الصوتي الركاب إلى اسم المحطة القادمة بأكثر من لغة، وعلى رصيف المترو خط أصفر مرسوم على الأرض يبعد عن حافة الرصيف حوالي ٣٠ سم، وذات مرة حدث أن تجاوزت هذا الخط عندما كنت أقف في انتظار المترو، فجاءتني إحدى الموظفات بسرعة تقول لي: لو سمحت لا تتجاوز الخط الأصفر!

وداخل كل محطة مسجد للنساء ومسجد للرجال ودورات مياه نظيفة وأنيقة، والعمال ينظفونها باستمرار، ومكاتب موظفين للاستعلامات، والمترو يسير فوق الأرض لا تحتها، على كباري عالية تسمح لك بمشاهدة العاصمة من جوانبها المختلفة، يظهر البرجان ويختفيا من حين لآخر بسبب ناطحات السحاب التي تحجبهما عنك أحياناً.

وتقع مدينة كوالالامبور داخل ولاية سيلانجور، التي تعد من أكثر الولايات تقدماً ومدنية، ولا تبعد بوتراجايا عن كوالالامبور سوى نصف ساعة على أقصى تقدير. وتتميز

ولايات الجزء الغربي الأحد عشر بالتقدم بصفة عامة إذا ما قورنت بولايتي صباح وسراواك في الشرق واللتان تعيش فيهما كثير من القبائل البدائية الذين يسكنون الغابات، وهم يفدون إلى المدن الصغيرة وينتقلون إلى الحياة المدنية بمرور الوقت، وبعضهم غير متعلمين، وقد نجحت الإرساليات التنصيرية في تنصير أعداد كبيرة منهم.

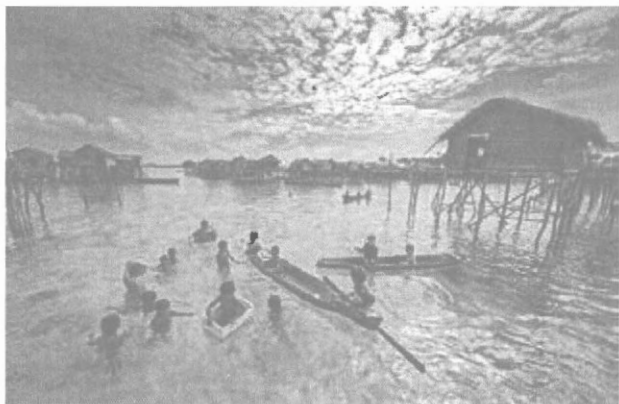
وهكذا تجد ناطحات السحاب وأكواخ سكان الغابات معاً في دولة واحدة، فماليزيا يطلق عليها «آسيا الحقيقية» بسبب التنوع والثراء الذي تتسم به أنماط الحياة فيها، وهذا التناقض والاختلاف بين السكان حولته الدولة إلى نقطة قوة بدلاً من أن يكون نقطة ضعف كما يحدث في كثير من البلدان.

القبائل البدائية

يشكل سكان الغابات وأبناء القبائل البدائية معظم سكان ولايتي صباح وسراواك في الجانب الشرقي، حيث يعيش الجزء الأكبر من القبائل الوثنية والبدائية^٢، وبعضهم يعيش في الماء في بيوت خشبية، ويعتمدون على صيد الأسماك، بينما تتواجد قبائل «أورانج أصلي»^٣ أي «السكان الأصليين» في غابات الجزء الغربي لاسيما في ولايتي بيراك وبهانج.

٢ أشهرهم قبائل «باجاو» و«إيبان»

٣ كما هو واضح أن كلمة «أصلي» مأخوذة من اللغة العربية.



قبائل ماليزية تعيش في الماء

وتعيش قبائل آكلة لحوم البشر في بعض الغابات الماليزية، وتعيش هذه القبائل في غابات «أورانج أصلي» في ولاية بيراك، ويذكر عن هذه القبائل اعتيادهم أكل لحوم موتاهم، وأحياناً لحوم الآخرين من القبائل الأخرى في تلك الغابات الضخمة التي مازالت تعيش في العصور السحيقة ولم تتأثر بأي مظهر من مظاهر المدنية، لكنهم مسالمون تماماً مع الغرباء.

وقد أخرجت الحكومة الماليزية بعض هذه القبائل من الغابات، بمساعدة من الجيش، وأدخلتهم في دورات إعادة تأهيل، لتعليمهم الإسلام، واللغة الملاوية، وتعويدهم على الحياة المدنية بعيداً عن الغابة، وأعادت توطينهم في أماكن حضرية.



بيت بدائي لأحد سكان الغابات



مجموعة أطفال من القبائل البدائية

وتحدثت تقارير إعلامية عن وجود عشرات الآلاف منهم في غابات أورانج أصلي الاستوائية الكثيفة لم تستطع الحكومة الماليزية الوصول إليهم حتى الآن.

وهناك متحف قرب كوالالامبور؛ يوثق حياة هذه القبائل ويعرض مقتنياتهم ويبين تفاصيل حياتهم، ويحظى بإقبال سياحي لافت لاسيما من الأوروبيين والأمريكان، وبجوار المتحف هناك مساكن خاصة بأبناء هذه القبائل الذين تركوا حياة الغابة، ومركز اجتماعي وثقافي خاص بهم.

وتعد غابة «تاما نيجارا» «Taman Negara» من أشهر الوجهات السياحية في ماليزيا، ويقدر العلماء عمرها بحوالي ١٣٠ مليون عامًا وتقطنها أعداد ضخمة من الحيوانات، حيث تحتوي على الكثير من الممرات المعلقة للسماح لعشاق الطبيعة بالتجول في الغابات، ونخبى مرتفعة لمراقبة الحياة البرية المتنوعة في الليل، ومشاهدة الحياة البدائية لشعب أورانج أصلي على الطبيعة، ويستمتع السياح بالتجديف في الأنهار السريعة وتسلق الجبال والتخييم وصيد الأسماك أو القيام برحلات نهريّة أو التجول في الغابة.

ففي ماليزيا من كنوز الطبيعة ما تفتقر إليها كثير من الدول؛
كالمساحات الشاسعة من الغابات المطرية العذراء القديمة التي
تكثر فيها الجبال الشاهقة والشلالات المتدفقة والأنهار الجارية
والكهوف والحيوانات العجيبة والأشجار الباسقة والزهور
العملاقة التي لا يكاد يوجد لها مثيل في الكون، وهناك أماكن
يتاح للسياح ركوب الأفيال ونزول المياه بها.

وتعد ماليزيا من أكثر الدول أماناً في العالم، حيث معدل
الجريمة فيها منخفض نسبياً، حسبها تؤكد الإحصاءات،
بالرغم من أنك من النادر أن تصادف في طريقك أحداً من
قوات الشرطة ولا الجيش، وتعتبر كلفة العيش في ماليزيا قليلة
بالمقارنة مع الدول الآسيوية الأخرى، برغم أنها تتمتع بواحد
من أعلى مستويات العيش في المنطقة وتوفر كافة الخدمات،
وتتوفر في ماليزيا كافة وسائل الترفيه مثل الحدائق، والرياضات
المائية وتحتوي عدداً كبيراً من الملاعب إذا ما قورنت بعدد
السكان فيها، وتنتشر بينهم ممارسة الرياضة لاسيما كرة الريشة
والجولف، ولا تقتصر الرياضة على الرجال بل تواظب النساء
على الرياضة أيضاً.

وتأتي ماليزيا كل عام في المرتبة الأولى في القائمة العالمية للسياحة الحلال تليها تركيا^٥، ولا يقصد بمصطلح «السياحة الحلال» أو «السياحة الإسلامية» زيارة الأماكن الدينية، بل كل ما تعنيه هو الترفيه بعيداً عن المحظورات الشرعية كالخمر والجنس وغيرها، وقد أنشأت الحكومة «مركز السياحة الإسلامي» بهدف وضع القواعد الإرشادية مع الفنادق ووكالات السياحة والسفر.

وتعد ماليزيا مقصداً رئيسياً للسياح من دول الخليج العربي، والقطاع السياحي بها ضخمة لدرجة أن عدد السياح الذين يزورونها سنوياً يتجاوز ٢٥ مليون سائح، إلا أن حادثتي الطيران الشهيرتين، في المحيط الهادي وأوكرانيا في عام ٢٠١٤، ساهمتا في تقليل عدد السياح الصينيين مما استدعى تكثيف وزارة السياحة الماليزية من عملها لإعادة اجتذاب سياح الصين مرة أخرى.

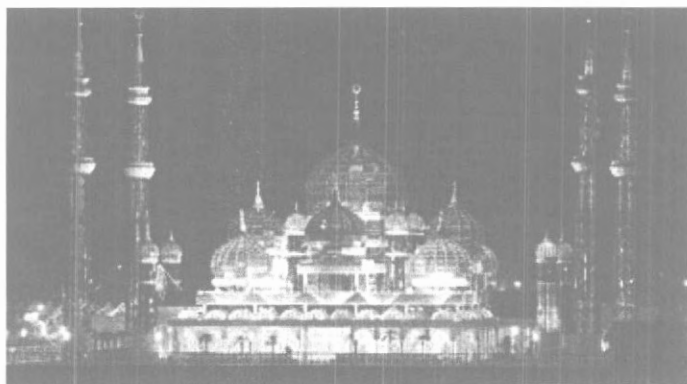
ومن الغرائب السياحية في كوالالامبور أحواض السمك التي يجلس السياح على أطرافها بينما السمك يبدأ في تقطيع والتهام بقايا الجلد الميت في أطراف القدمين، كنوع من المساج!! وليس هذا هو أغرب أنواع المساج هناك، ولكن معظم من يقوم بعمل المساج من الوثنيين والفتيات الصينيات ومن الدول المجاورة،

٥ حسب تقرير للمنظمة العربية للسياحة، وجمعية «كريسنترينغ» المتخصصة بالسياحة الإسلامية ومقرها سنغافورة

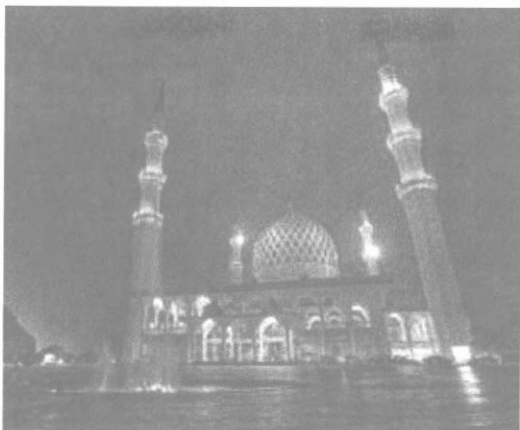
إلا أن الانحرافات الخلقية تنتشر بانتشار تلك الأماكن.

وهناك أماكن سياحية فريدة في أنحاء البلاد المختلفة؛ فهناك حدائق خاصة بالقروود وأخري للفراشات وأخري للغزلان ويقام المهرجان المائي كل عام في ولاية مختلفة وتقام العروض المجانية المائية والموسيقية الراقصة.

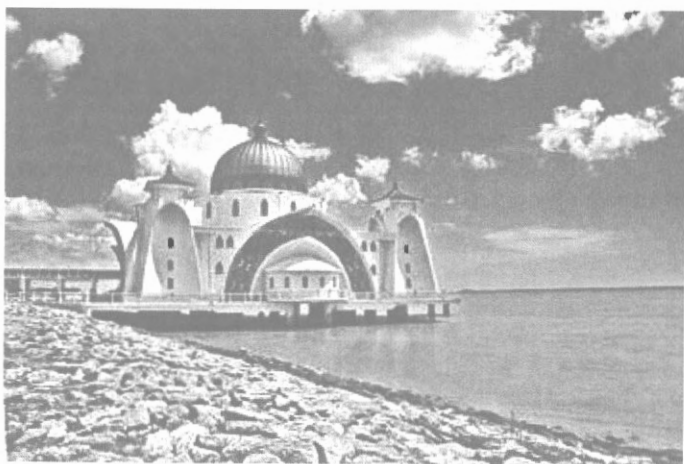
والمزارت السياحية والأماكن الجذابة صعبة على الإحصاء، فلو تكلمنا على المساجد وحدها فلن يكفيها أضعاف هذا الفصل فعندهم مساجد هي أفخم من قصور ألف ليلة وليلة كما تتخيلها الأساطير، وتتنافس الولايات المختلفة في بناء المساجد العائمة شديدة الفخامة.



مسجد الكريستال



مسجد صلاح الدين



مسجد ملاقا

وتمثل الجامعات الماليزية التي يدخل بعضها في التصنيف العالمي لأفضل الجامعات العالمية كل عام، نقطة من نقاط القوة للاقتصاد الماليزي فتأتي كل عام أعداد غفيرة من الطلبة من أنحاء العالم للدراسة في تلك الجامعات، إذ أن التعليم في بعضها أكثر تطوراً من كثير من الجامعات الأمريكية والأوروبية، وكذلك المدارس التي يعتمد عدد منها أحدث المناهج التعليمية الدولية.

ولكن مع كل ما سبق فلا يعتمد الاقتصاد على السياحة بشكل رئيسي بل يعد القطاع الصناعي هو قاطرة الاقتصاد الماليزي، والاقتصاد متنوع وقوي، واحتلت البلاد المرتبة الـ ١٨ على مستوى العالم في التنافسية العالمية عام ٢٠١٥، متفوقة بذلك على كثير من الدول الأوروبية^٦، وتم اختيار بورصة ماليزيا المحدودة كأفضل بورصة إسلامية عام ٢٠١٥/٧ وتعد من أبرز دول العالم تفوقاً وخبرةً في مجال الصكوك الإسلامية.

٦- مقارنة بالمرتبة الـ ٢٠ التي كانت فيها في عام ٢٠١٤ من أصل ١٤٤ دولة منافسة، حسبما أفاد تقرير التنافسية العالمية ٢٠١٥ - ٢٠١٦ الذي أصدره المنتدى الاقتصادي العالمي.

دولة الملك والسلطين

استقلت ماليزيا من الاحتلال الانجليزي عام ١٩٥٧، لكن البريطانيين تركوا البلاد مقسمة إلى إمارات صغيرة متفرقة، فاتحدت ولايات شبه جزيرة الملايو في اتحاد عام سمي بـ «اتحاد الملايو»، سنة ١٩٦١، ضم أيضًا ولايتي صباح وسراواك اللتان تضمان نسبة كبيرة من الوثنيين والمسيحيين، وتم تغيير اسم البلاد إلى «ماليزيا» بدلًا من «اتحاد الملايو»، لأن كثير من سكان ولايتي صباح وسراواك لم يكونوا من جنس الملايو.

ودولة ماليزيا هي في الأصل مملكة، ولكن تم تقليص صلاحيات الملك حتى صار مثل النموذج البريطاني، فالملك لا يحكم بل هو منصب شرفي، ويتم انتخاب الملك من بين السلاطين الذين يحكمون الولايات، فينتخبون واحدًا منهم ليصير ملكًا، لمدة خمس سنوات فقط، ولا يعاد انتخابه في وجود من هو أقدم منه من السلاطين.



لافتة في أحد الشوارع عليها صورة سلطان الولاية « الإسلام يعلو في النفوس، والسلطان مطاع، والرعية محفوظة ».

وتتكون ماليزيا من ١٣ ولاية، تسعة منهم يرأسها السلاطين، هي سيلانجور Selangor ، وجوهور Johor ، وكلتن Kelantan ، وترينجانو Terengganu وبهانج Pahang ، وبيراك Perak ، وقده Kedah ، وبرليس Perlis ، ونيجري سيمبلان Negeri Sembilan ، وأربعة لا يوجد فيها سلاطين، هي بينانج Penang ومالاقا Malacca وصباح Sabah وسراواك Sarawak ، وإنما فيها حاكم لكل ولاية، والملك هو الذي يعين هؤلاء الحكام، وهناك ثلاث مناطق فيدرالية هي كوالالامبور Kuala Lumpur ، وبوتراجايا Putrajaya ، ولابوان Labuan .

وبجانب السلاطين، فإن لكل ولاية حكومة محلية، يرأسها رئيس وزراء الولاية الذي يعينه السلطان من بين أعضاء المجلس التشريعي في الولاية من واقع الأغلبية.

والحاكم الفعلي الذي بيده السلطة في الدولة هو رئيس الوزراء، الذي يفوز حزبه بالأغلبية في البرلمان، ودائمًا يفوز حزب الأمنو بالأغلبية، لأنه ائتلاف سياسي يضم مختلف الطوائف العرقية والدينية، تحت قيادة المسلمين الملايو، برغم أن الدستور لم يشترط في رئيس الوزراء أن يكون مسلمًا، إلا أن العرف جرى على ذلك، وحكام الولايات يشترط فيهم أن يكونوا مسلمين في بعض الولايات.

ووزير الدفاع منصب مدني، والجيش لا علاقة له بالسياسة ولا بالحياة العامة على الإطلاق، وتتكون قوات الجيش والشرطة بالأساس من العرق المالاي المسلم.

وكل ولاية لها بعض الخصوصيات الإدارية، كيومي الإجازة مثلاً، فيومي الإجازة الأسبوعية في ولاية سيلانجور السبت والأحد، وغيرها الجمعة والسبت مثلاً وهكذا.